Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة: ١١٨).

ويقول سبحانه: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨). فالقلوب كأنما تفارق مواضعها، وتبلغ الحناجر حقا من شدة الضيق.

وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وآفاق، من التناسق والاتساق، فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى لفظ معبر، إلى تعبير مصور، إلى تصوير منخفض. إلى تخييل مجسم، إلى موسيقى داخلية، إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار، وبهذا كله يتم الإبداع، ويتحقق الإعجاز.

٩- طريقة القرآن

من طريقة القرآن أنه يتخير الأسلوب المناسب للفكرة، وينوع في نظام الفواصل والقوافي بتنوع الموضوع الذي يعرضه، ويتبع ذلك طول الفاصلة وقصرها وطريقة بنائها اللفظي من حيث السهولة والخشونة، وتخير الحرف الأخير الذي تختم به فمن ذلك ما جاء في سورة مريم فالسورة تبدأ بقصة زكريا ويحيى، وتليها قصة مريم وعيسى وتسير الفاصلة والقافية هكذا.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ (مريم: ٢، ٣).. إلخ الآيات..

ثم يقول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ (مريم: ١٦، ١٧) إلى أن تنتهي القصتان على روي واحد. وفجأة يتغير هذا النسق بعد آخر فقرة في قصة عيسى على النحو التالي:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ